# ضريبة هوليود.. من يدفع؟.. ومن يقبض؟

## هوليود.. ترفيه أم سياسة؟

منذ أن ظهرت السينما في نهاية القرن التاسع عشر، ثم التلفزيون في الربع الأول من القرن العشرين، بدأت (الصورة) باحتلال موقع الريادة في التأثير على ثقافة الجماهير بدلاً من (الكلمة المكتوبة) في الكتب والصحف، ومن (الكلمة المسموعة) في الخطب والمذياع. وأخذت أنظار السياسيين ورجال الأعمال تتوجه صوب السينما والتلفزيون لخطورة دورهما في التأثير في الناس. وكانت أكثر المراحل وضوحاً في ظهور نتائج هذا التنافس للسيطرة على السينما والإعلام هي فترة الحرب الباردة بين المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي، إذ صرح (لينين) آنذاك قائلاً: إن «السينما هي أهم الفنون بالنسبة إلينا»[1]، وهو ما أكده القائد الشيوعي (تروتسكي) في كتابه (الثورة والحياة اليومية) عندما رأى أن «هذه الوسيلة التي بين أيدينا هي أفضل وسيلة للدعاية، سواء كانت هذه الدعاية تقنية، أم ثقافية، أم مناهضة للإدمان على الكحول، أم صحية، أم سياسية. إنها تيسر القيام بدعاية هي في متناول فهم الجميع وجاذبة لاهتمام الجميع، ودعاية تستحوذ على المخيلة»، ولما كانت الشيوعية تسعى إلى إقصاء الدين عن الدولة والحياة فقد دعا (تروتسكي) إلى إحلال السينما محل الكنيسة بعد التخلص منها.

أما الجانب الرأسمالي فكان أكثر خبثاً ودهاء، ففي الوقت الذي لم

---

(١) مجموعة من المؤلفين السوفييت: علم الجمال الماركسي اللينيني، الجزء الثاني.

تخجل فيه الحكومات الاشتراكية والشمولية من السيطرة المكشوفة على السينما والإعلام، تركت الحكومات الرأسمالية الغربية هذا الأمر ظاهرياً لشركات الإنتاج الخاصة ورجال الأعمال، ولكنها لم تكن تسمح في الوقت نفسه بخروجه عن الخط المرسوم له، وهذا ما يؤكده (بيتر جران) في كتابه (ما بعد المركزية الغربية) بقوله: «إن النفوذ الحكومي في المجالات الثقافية ربما كان أكثر تغلغلاً مما يعترف به عادة»، ويضيف: «هناك شكل أخير ومهم للتدخل الحكومي في تنظيم الثقافة جاء من خلال تنظيم الإعلام الجماهيري... وبشكل أكثر عمومية نقول: إن الإعلام الجماهيري وفر للدولة فرصة تعزيز قوالب ذهنية عن الجنس والنوع ليس التعليم على استعداد لتقديمها»[١]، ووصف وزير الخارجية الأمريكي الأسبق (جورج شولتز) تقنية البث المباشر بأنها «أنجع من أسلحة نووية عديدة لغزو الكتلة الشرقية، وأن شعوب أوربا الشرقية ثارت على الشيوعية لأنها تمكنت من التقاط برامج التلفزيون الغربي والأمريكي»[٢]، أما رئيس شركة (Motion Picture Association of America) (جاك فالنتي) فيقول بكل وضوح: «إن واشنطن وهوليود تحملان الجينات (DNA) نفسها»!

والأمر لا يتوقف عند هذا الحد، فمع تجنب الحكومة الأمريكية الإنتاج المباشر للأفلام والبرامج كما هو الحال في الدول الاشتراكية، إلا أنها كانت - وما زالت - تقوم بالأمر ذاته عن طريق دعمها للشركات والقنوات التلفزيونية التي تساند سياساتها، ففي أواخر العشرينيات قامت وزارة الدفاع (البنتاغون) بتأسيس مكتب خاص للتنسيق بين هوليود

(١) علاء عبد العزيز: السينما.. والبحث عن دور إسلامي، موقع إسلام أون لاين، ١٩/ ٤/ ٢٠٠٤.

(٢) إياد شاكر البكري: عام ٢٠٠٠ - حرب المحطات الفضائية، دار الشروق، عمان، ط١، ١٩٩٩، ص٢٤١.

وواشنطن، ومنذ ذلك الحين تقوم (البنتاغون) بدعم العديد من الأفلام السياسية الموجهة، ونذكر منها فيلم (الأجنحة) للمخرج (وليام ويلمان) المنتج سنة ١٩٢٧، و(السلاح الأقوى) للمخرج (طوني سكوت)، و(باتون) للمخرج (فرانكلين سكافنر) المنتج سنة ١٩٧٠، و(سقوط الصقر الأسود) للمخرج (ردلي سكوت) المنتج سنة٢٠٠١.

والأغرب من ذلك هو أن وزارة الدفاع (البنتاغون) تملك سلطة حظر الأفلام التي تمس سياساتها بشكل مباشر وتسيء إلى صورتها، إذ قررت حظر الفيلم الوثائقي (دع ذلك يضيء) للمخرج (جون هيوستن) الذي بدأ بتصويره عام ١٩٤٦، وتدور أحداثه حول الاضطرابات النفسية التي لاقاها الجنود في أثناء الحرب العالمية الثانية، وبقي الفيلم ممنوعاً من العرض حتى عام١٩٨٠[١].

ومن الجدير ذكره أن الدعاية السياسية والثقافية لا توجَّه عادة من خلال البرامج الجادة أو الأفلام الوثائقية أو نشرات الأخبار، بل غالباً ما تُروّج في إطار الترفيه والتسلية، ويؤكد ذلك المخرج الأمريكي (فرانسيس فورد كوبولا) في قوله: «إن أكثر الأفلام سياسة في العالم يمكن أن نجدها لا تحتوي على أي موضوع سياسي»[٢]، أما على صعيد التأثير الاجتماعي والفكري فيقول الباحث (ميلفين ديفلير): «يمكن رؤية الاعتماد القوي لوسائل الإعلام على النظام الترفيهي بسهولة أكثر في تعديل القيم والقواعد السلوكية»[٣]، ويؤيده المفكر الأمريكي (هربرت شيلر) في كتابه (المتلاعبون بالعقول) عندما يقول: «إن البرامج الترفيهية هي في الواقع

(١) جريدة الثورة السورية، نقلاً عن اللوموند، ٢٠/ ١٠/ ٢٠٠٧.

(٢) علاء عبد العزيز، مرجع سابق.

(٣) أديب خضور: سوسيولوجيا الترفيه في التلفزيون، مجلة عالم الفكر، المجلد ٢٨، العدد ٢، تشرين الأول/ أكتوبر- كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٩، ص٢٧٣.

أشكال تربوية.. وأشكال توعية إيديولوجية»، كما يفنّد (شيلر) الفكرة التي يروج لها الكثيرون حول خلو الترفيه من أي مضامين فكرية أو سياسية مثل مقولة (الفن للفن) فيقول: «يستفيد جهاز تشكيل الوعي شديد التنوع الذي يستخدم كل الأشكال المألوفة للثقافة الشعبية (الكتب الهزلية، الرسوم المتحركة، الأفلام السينمائية، برامج المذياع والتلفاز، الأحداث الرياضية، الصحف والمجلات) يستفيد لأقصى حد من هذا المفهوم الخاطئ»، أي إن حرص الإعلاميين ومنتجي الأفلام الدائم والمستمر على تكرار مقولة (الفن للفن) وادعاء خلو أعمالهم من أي فكرة أخرى سوى الترفيه والتسلية يؤدي إلى ضعف مقاومة المشاهد والمتلقي مما يجعل مرور الأفكار والاقتناع بها أكثر سهولة!

**لماذا يحلم الجميع بهوليود؟**

في ظل نظام العولمة التي نعيشها اليوم تحول العالم حقيقةً إلى ما يشبه القرية الصغيرة التي عرفها الإنسان في القرون الماضية، فالناس يتعارفون فيما بينهم بسهولة، ويتبادلون الأخبار على مدار الساعة، ولا يخفى على أحد منهم شيء مما يجري في أقصى أنحاء هذه القرية. ولا شك في أن تبعات هذا التطور ستجد طريقها إلى مناحي الحياة كافة، فإذا كانت أحلام الناس في الماضي لا تتعدى حدود القرية أو المدينة أو الدولة التي يعيشون فيها، فإن الطموح إلى العالمية اليوم أصبح متاحاً وقابلاً للتحقق.

ولتصنيفِ ما يحققه هذا الطموحُ وتأكيدهِ وتوثيقه؛ تعارف الناس في هذا العصر على مقاييس عالمية لأقصى حالات النجاح في الكثير من الميادين، فالطلاب الأذكياء يطمحون إلى الدراسة في جامعة هارفرد، والعلماء والأدباء يحلمون بجائزة نوبل، والمخترعون يفضلون تسجيل براءات اختراعهم في مكاتب براءات الاختراع في الولايات المتحدة واليابان، والصحفيون والكتاب يسعون إلى نشر مقالاتهم في التايمز

واللوموند، ولاعبو كرة القدم يبذلون كل ما بوسعهم للاحتراف في الدوري الإسباني أو الإنجليزي أو الألماني، أما بقية الرياضيين فيطمحون إلى الميداليات الذهبية في مسابقات الأولمبياد، في حين يتنافس السينمائيون على اقتحام هوليود أو الفوز بجائزة الأوسكار.

ومع عالمية هذه المقاييس وتربعها على القمة، إلا أنها جميعاً ومن دون استثناء محدودة في إطار من يشرف عليها أو يمولها، فهي إذن محلية، بل مركزية، في القرار والاختيار والتوجه، وعالمية في الانتشار والشهرة والتلقي!

لذا فإن هوليود كانت ولا تزال عاصمة لصناعة السينما العالمية من حيث قدرتها على تصدير منتجاتها إلى العالم كله، ولكنها كانت وستبقى أمريكية -صهيونية في سياستها وتوجهاتها، رأسمالية- براجماتية في إدارتها وتمويلها، ليبرالية- غربية في روحها، إنجليزية في لغتها، أنجلوسكسونية في ثقافتها وانتمائها. وهذه الهوية الواضحة لهوليود يفترض أن تكون معروفة لكل من يحاول الوصول إليها والانخراط في عالمها، حتى في حال الرغبة في التمرد عليها والسير في عكس التيار، وأعتقد أن جميع العرب والمسلمين الذين جربوا الدخول إلى هوليود والنجاح فيها قد كانوا على علم بهذه الحقيقة، سواء أولئك الذين لم يمانعوا من الانخراط في عالمها، أو الذين كانت لديهم بارقة أمل بالبقاء فيها مع الوقوف في أماكنهم أو السير في الاتجاه المعاكس.

## كيف أثرت هوليود في حياة الشعوب والأقليات العربية والإسلامية ومصيرها؟

تعرضنا في الفصول السابقة إلى بعض التجارب الناجحة للممثلين والكتاب والمخرجين والمنتجين من العرب والمسلمين العاملين في

هوليود، ونقلنا مبررات البعض وحججهم للانخراط في عالم هوليود الذي لم تعد حقيقته تخفى على أحد. فالبعض أبدى تحفظاً وأعلن يقظته وحرصه على عدم المجازفة، والبعض الآخر اعترف صراحة بأن المال هو غايته الوحيدة، في حين رأى آخرون أن الوصول إلى هوليود هو بحد ذاته هدف يستحق العناء ودفع الضريبة، وتهرّب الكثيرون من تهم الإساءة بأنهم يمثلون الواقع كما هو، فالعالم لا يخلو من الإرهابيين المسلمين وخاطفي الطائرات الملتحين وقاطعات الأصابع المحجبات، ورأى آخرون أن المشكلة هي فقط في سطحية هذه الأدوار، وأن الحل يكمن في منحهم الوقت الكافي للظهور على الشاشة والكلام، في حين لم يجد البعض مشكلة في هذه ولا تلك، بل استاؤوا فقط من تنميطهم كممثلين في أدوار مكررة، ووعدوا بأن يبذلوا جهداً في الخروج منها لتبقى صورتهم أكثر تجدداً!

ويبقى هناك فريق آخر يناقش الأمر من زاوية أخرى، فعندما صنع الأتراك فيلم (**وادي الذئاب**) للانتقام لكرامتهم التي أهانها الأمريكيون في العراق وقعوا هم أيضاً في خطأ التعميم نفسه؛ عندما أظهروا الأمريكيين كلهم على أنهم أشرار ومن دون استثناء، وهذا ما يفعله الأمريكيون بالضبط عندما يتعرضون للعنف من قبل العرب والمسلمين، بل هذا ما تفعله السينما العربية أيضاً في الكثير من أفلامها التي تتناول القضايا ذات العلاقة بالولايات المتحدة و(إسرائيل)، باستثناء الأعمال التي تقترب من التطبيع تحت عنوان الحوار، وبطريقة ساذجة!

وبمثل هذه الحجج، يتسابق بعض العرب والمسلمين إلى نيل رضا أصحاب النفوذ في هوليود، ويقصُرون مجال اهتمامهم على ما يحققه لهم ذلك من الشهرة والثروة، محاولين تجنب حقيقة انخراطهم في مَكِنة هوليود التي تسعى هي أيضاً لتحقيق غايتها حتى لو اضطر الأمر إلى سحقهم،

متناسين في الوقت ذاته أن تجاهل هذه الحقيقة يعني بالضرورة موافقتهم غير المعلنة على تسخيرهم لتحقيق سياسات واشنطن و(إسرائيل) على مرأى ومسمع العالم كله، إذ لم يعد سراً تلقي هوليود دعماً مباشراً من المؤسسة العسكرية والأمنية الأمريكية لصناعة الأفلام التي تمهد للحرب على العرب والمسلمين، وهو ما يؤكده البروفسور (جاك شاهين) في حديثه عن الدور الذي أدته وزارة الدفاع وبعض أجزائها مثل الجيش والمارينز والحرس الوطني بتقديمها مساعدات تقنية لتلك الفئة من الأفلام مثل (**أكاذيب حقيقية**/ True Lies) عام ١٩٩٤، و(**قرار تنفيذي**/ Executive Decision) عام ١٩٩٦، و(**ضربة الحرية**/ Freedom Strike) عام ١٩٩٨، أما فيلم (**الحصار**/ The Siege) الذي أنتج سنة ١٩٩٨ فحظي بدعم وكالة المباحث الفيدرالية (FBI) في نيويورك، وقد كرست مثل هذه الأفلام الصورة الشيطانية لشعوب بأكملها، وسهلت على المشاهد الغربي تقبل ما يجري من احتلال أرضهم وتهجيرهم وقتلهم منذ مطلع القرن العشرين حتى اليوم.

ولفهم آلية العمل التي تتبعها هوليود، نعود إلى لقاء أجرته قناة الجزيرة مع شاهين يقول فيه: «إن صورة العربي السيئ معنا منذ أكثر من مئة سنة، الروسي السيئ بقي معنا لمدة عشرين سنة واليهودي الشرير لم يظهر في السينما أبداً، ظهر فقط في السينما النازية، ورأينا ما حدث نتيجة لذلك وهذا ما يحدث عندما تصوّر شعباً ما بأنه شرير لمدة مئة عام أو أكثر، رأينا كلنا إلى أين يقود ذلك». ثم يتابع الحديث قياساً إلى ما حصل لليهود في ألمانيا النازية، فبعد أن تشبع الشعب الألماني بالدعاية العنصرية ضدهم أصبح من المقبول لديهم إبادة اليهود ومحوهم من الوجود، وعندما أمطرت هوليود عقول الشعب الأمريكي بالأفلام والمسلسلات حتى برامج الأطفال المحقرة لليابانيين إلى درجة الشيطنة، أصبح من المقبول أيضاً إلقاء قنبلتين ذريتين على مدن يابانية تضج بالحياة. والأمر

نفسه كان قد حدث مع السود في الولايات المتحدة قبل توحيدها عندما نُزعت عن العبيد الأفارقة صفة الإنسانية، حتى أصبح من السهل على الناس تقبل شنقهم دون أي عبء أخلاقي.

ويرى شاهين أن هذا ما حدث بالضبط على مدى مئة سنة بخصوص صورة العرب، فعندما أعلنت أمريكا الحرب على العراق سنة **٢٠٠٣** لم يحتجّ الشعب الأمريكي على الحرب ضد الشعب العراقي؛ لأنهم «لم يعرفوا العرب كشعب عادي.. بشراً كباقي البشر فيهم المرضة والطبيب»[١]، بل هم شعب متخلف وعنيف تحكمه عصابات من شيوخ النفط.

لذا لا نستبعد أن الكثير من المتظاهرين الذين جابوا شوارع أمريكا وبقية الدول المتحالفة معها لم يخرجوا للدفاع عن الدم العراقي، بل خوفاً على أولادهم المجندين الذين أرسلوا للقتال في حرب غير عادلة، إذ كانت أكثر شعارات الاحتجاج التي رفعوها شيوعاً تقول: «لا للدم مقابل النفط»، فالخوف إذن على دماء أبنائهم وليس على دماء المليون ونصف المليون ضحية الذين قتلوا منذ بداية تلك الحرب على أرضهم!

علاوة على ذلك، فإن سهام العنصرية الهوليودية لا تصيب فقط الشعوب (الشرق أوسطية) التي تعيش بعيداً في الصحراء، بل يتأذى منها كل المهاجرين العرب والمسلمين في الدول الغربية، فعندما يرى المشاهد الأمريكي في فيلم (**الحصار**) إرهابياً مسلماً يتوضأ قبل تنفيذ جريمته ضد الأبرياء في نيويورك، سيربط في عقله الباطن بين الوضوء والإرهاب، وستقفز إلى ذهنه تلك الصورة البشعة كلما رأى زميلاً له يتوضأ في مقر العمل أو الجامعة!

---

(١) قناة الجزيرة، برنامج الكتاب خير جليس، العرب السيئون.. كيف تشوه هوليود شعباً، ٢٦/ ١٢/ ٢٠٠٥.

لذا احتج مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية (كير) على هذا الفيلم قبل عرضه، ولكن صنّاع الفيلم لم يوافقوا على تغيير أي شيء من مشاهده! كما لم تفلح اعتراضات (كير) في الحد من الإساءة والتنميط للمسلمين داخل الولايات المتحدة في مسلسل (٢٤)، ففي الموسم الرابع الذي عرض سنة ٢٠٠٥ يقوم إرهابيون عرب بتفجير قطار واختطاف وزير الدفاع الأمريكي، ثم يسيطرون على عدة مفاعلات نووية أمريكية ويحاولون قتل الرئيس الأمريكي نفسه، وقد صرحت (ربيعة أحمد) المتحدثة باسم (كير) لتلفزيون (CNN) بأن طريقة تصوير المسلمين في هذا المسلسل تزرع في النفوس الخوف والكراهية، وأنها بدأت بالشعور بالخوف من الذهاب إلى المتجر بعد مشاهدته، لعدم وثوقها من قدرة الناس على التفريق بين الخيال والحقيقة.

ويُذكر أن شركة (فوكس) حاولت بعد هذا الاعتراض تخفيف حدة الاستياء العربي والإسلامي فعرضت إعلاناً يظهر فيه الممثل (كيفر ساذرلاند) -الذي يؤدي دور المحقق جاك- ويحث المشاهدين على الأخذ بعين الاعتبار أن الأشرار في البرنامج لا يمثلون جميع المسلمين[1].

وفي العام التالي، تنفس المسلمون الأمريكيون الصعداء عندما ظهر الإرهابيون في الموسم الخامس من المسلسل على أنهم روس، ولكن **الإرهابيين المسلمين** عادوا إلى الواجهة مرة أخرى في الموسم السادس عام ٢٠٠٧. وللمزيد من الإساءة؛ أعطى مؤلف القصة للإرهابيين هذه المرة فرصة النجاح في تفجير قنبلة نووية داخل لوس أنجلوس، مما زاد من درجة الرعب لدى المشاهدين إلى أقصى الحدود، وهو أمر لم يكن

(١) بتاريخ ١٩/ ٢/ ٢٠٠٧.
http://arabic.cnn.com/2007/entertainment/1/20/24.muslims/index.html

obeikandl.com

معهوداً في المواسم السابقة عندما كان البطل الأمريكي ينجح في تعطيل تلك العمليات قبل تنفيذها.

علاوة على ذلك، وصلت آثار هذه الإساءة إلى العنف المطبق ضد المعتقلين المسلمين على أرض الواقع، حيث أكدت الأكاديمية العسكرية الأمريكية في (ويست بوينت) عام ٢٠٠٧ أن الجنرال (باتريك فينغان) التقى بمنتجي مسلسل (٢٤) الذي تعرضه قناة فوكس، مطالباً إياهم بتخفيف أساليب العنف والتعذيب التي يظهرها المسلسل؛ «لأن الجنود الأمريكيين في العراق يقلدونها". إذ اعتاد مخرج المسلسل في مواسمه السنوية المتتالية على عرض لقطات للمحقق (جاك باور) وهو يقوم مع زملائه بتعذيب المشتبهين في الإرهاب، ووصلت هذه الأساليب الوحشية في بعض المشاهد إلى درجة إطلاق النار على ساق أحد المعتقلين أو بتر أصابع يديه لإجباره على الاعتراف، كما يقوم هذا المحقق في مشاهد أخرى بانتزاع المعلومات من أشخاص يسميهم المسلسل بالأشرار مستخدماً أكياساً بلاستيكية تمنعهم من التنفس، ثم حقنهم بعقاقير تسبب الألم، وكل هذا يجري حسب رؤية المسلسل في معتقلات على أرض الولايات المتحدة!

أما نتائج هذه الأعمال فقد صرّح بها المحقق الأمريكي (توني لاغورانيس) الذي عمل مع الجيش الأمريكي في سجن أبو غريب في العراق قائلاً: «كانت لدينا قواعد تحقيق بلا قيود تقول بصفة أساسية: إن من حقنا أن نفعل ما نشاء. ومن ثم فإنه مع غياب أي تدريب، ولأننا لم نتدرب على أساليب التعذيب، فقد لجأنا إلى ما شاهدناه على شاشات التلفزيون»[١].

(١) الشرق الأوسط، العدد ١٠٣٣٧، ١٨ آذار/مارس ٢٠٠٧.

أمام هذه الحقائق، تصبح أعذار هوليود أقرب إلى الاستخفاف بعقولنا عندما تصر على عدم مسؤوليتها عما يجري على أرض الواقع، ففي بيان نشرته شركة (فوكس) المنتجة لهذا المسلسل سنة ٢٠٠٧ قالت إنها لم تكشف حتى الآن عن أي جماعة عرقية أو طائفية، يقع عليها اللوم في خلق شخصيات وأدوار المسلسل. وأضاف البيان: «مسلسل (٢٤) هو دراما عن مكافحة الإرهاب، وبعد خمسة مواسم، فإن الجمهور واعٍ لذلك، ويعرف أن أي فرد أو عائلة أو جماعة (عرقية أو غيره) متورطة في العنف، لم يقصد منها أن تكون نموذجية»[١].

وإذا كان الأمر كذلك، فيحق لنا إذن أن نتساءل: لماذا يصر هؤلاء على حصر عصابات الإرهابيين في تلك الجماعات العرقية؟ ولماذا يحظى المسلمون والعرب بالحظ الأوفر من الظهور بمظهر الإرهابيين من بين جميع الجماعات والأقليات الأخرى؟

وقبل أن نرهق أنفسنا في البحث عن الإجابة، نورد إحصائية حديثة للبوليس الدولي الأوربي؛ مفادها أن دول الاتحاد الأوربي قد شهدت في عام ٢٠٠٦ (٤٩٨) هجوماً إرهابياً، وهي موزعة كما يلي: ٤٢٤ هجمة منها قامت بها الجماعات الانفصالية، ٥٥ هجمة قام بها متطرفون يساريون، ١٨ هجمة من مختلف الإرهابيين، أما الإسلاميون فلم يقوموا إلا بهجمة واحدة![٢]

أما الادعاء الساذج بأن (الجمهور واعٍ) لعدم تورط أي جماعة عرقية أو دينية في الإرهاب فهو تكذيب للواقع الذي لا يختلف عليه اثنان،

---

(١) بتاريخ ١٩/ ٢/ ٢٠٠٧.

http://arabic.cnn.com/2007/entertainment/1/20/24.muslims/index.html

(٢) جراهام فولر: ماذا لو لم يظهر الإسلام، ترجمة أحمد عز العرب، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٨.

ويؤكد ذلك (جاك شاهين) عندما يقول: «إن مئات جرائم الكراهية التي ارتكبت ضد الأمريكيين العرب والمسلمين في الولايات المتحدة بعد الهجمات، أي أيلول/سبتمبر ٢٠٠١، أكدت أهمية محاربة الصور النمطية... وعندما تشوه شعباً، فإن رجالاً ونساء وأطفالاً أبرياء يعانون، والتاريخ علمنا ولا يزال يعلمنا هذا الدرس»[١]، فالارتكاز إلى مزاعم (وعي الجمهور) ليس إلا تسويغاً غير محسوب، إذ استنتج المفكر الأمريكي (ويلسون براين كي) من دراسته لوسائل الإعلام الأمريكية أن «الناس قاموا بخلق ذلك الوهم حول قدرتهم على السيطرة على بيئتهم، وقد جعلتهم هذه الأوهام أكثر عرضة للتأثيرات التي تتعلق باللاوعي والعقل الباطن»، ويسخر هذا الكاتب من المقولة الشائعة: «ليس من الممكن أن نُستغل بأشياء لا نستطيع إدراكها»[٢]. فالواقع يشير بوضوح إلى انغماس الشعوب الغربية والمتحضرة أكثر من غيرها في حمى الاستهلاك مع أن مستوى الوعي مرتفع لديها، حيث تُدار وسائل الإعلام والدعاية من قبل متخصصين أكفاء في علم النفس والبيولوجيا لتحديد الطرائق المثلى للتأثير في السلوك اللاواعي مهما كان العقل الواعي متنبهاً وحذراً، وإذا كان هذا يتم لحساب التشجيع على الشراء الاستهلاكي فمن الأجدر توظيفه لأهداف سياسية لا تخفى على أحد.

والمؤسف في كل ذلك ألا يكتفي الكثير من العرب والمسلمين الذين حققوا أحلامهم في هوليود بالتقصير عن أداء واجبهم في مقاومة هذه المؤامرة، أو حتى بالصمت والتنحي جانباً، بل بذلوا كل ما بوسعهم لإنجاحها، وربما عن حسن نية، ثم عدّوا ذلك نجاحاً باهراً لهم

(١) موقع الجزيرة نت، بتاريخ ١٦/ ١١/ ٢٠٠١.

http://www.aljazeera.net/News/archive/archive?ArchiveId=20315

(٢) سعيد أبو معلا: خفايا الاستغلال الجنسي في وسائل الإعلام، مجلة العربي، العدد ٥٦٤، تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٥، ص١٨٧.

وللشعوب التي أساؤوا إليها، ولم يعدموا الوسيلة التي تمجدهم بين تلك الشعوب وتستقبلهم بأكاليل الزهور كالأبطال!

## هل أخفقت تجربتنا في هوليود؟

مع بداية انفتاح هوليود الجديد على الممثلين العرب استبشر الكثير من الصحفيين والمثقفين والنقاد خيراً، وبدا للوهلة الأولى أن مشاركة العرب في أفلام تتعرض لقضاياهم ستؤدي حتماً إلى تلطيف مواقف هوليود قليلاً وبالتدريج، ولكن تصريحات بعض هؤلاء الممثلين أنفسهم ومواقفهم لا تعِد بالكثير. ففي حلقة خاصة حول هذه التجربة من برنامج (نقطة تحول) على قناة (mbc) صرّح الفنان **غسان مسعود**، بعد مشاركته في (**مملكة السماء**) و(**قراصنة الكاريبي**)، بأن الإنسان يظل مسحوراً بما لا يعرف إلى أن يدخله ويعيش أجواءه فيكتشف أنه مجرد فقاعة فارغة، وأكد مسعود على أنه كان مشغولاً **بالضريبة التي كان عليه أن يدفعها مقابل العالمية. ولعل هذا ما يبرر رفضه المشاركة في أفلام مهمة مثل: (سيريانا)، (جسد الأكاذيب)** و(**الشيطان المزدوج**)، وهو موقف يستحق الكثير من التقدير.

الفنان المغربي **محمد مفتاح** أكد في الحلقة نفسها أن تجربته العربية هي الأهم، وصرّح بأن السينما العالمية تقع تحت سيطرة الصهيونية وتعمل ضد المسلمين، مستشهداً بتجربته غير المُرضية عندما لم يُذكر اسمه في الفيلم الأمريكي (**الشيء المستحيل**) (١٩٧٦) الذي صُور في المغرب، وهو ما تكرر مرة أخرى عندما أدى دوراً رئيساً في فيلم (**المقنّع**) وأصر المنتج اليهودي على تجاهل اسمه (محمد)! لذا فإن المكسب الوحيد من هوليود في رأيه هو المال وليس المجد أو الشهرة.

الفنان المصري **خالد نبوي** لم يكن بعيداً أيضاً عن هذه الرؤية، إذ أكد في الحلقة نفسها أنه لم يسعَ خلف هوليود، وأن تجربته العربية ستظل هي

الأهم، مشيراً إلى رفضه أداء دور شبيه عدي صدام حسين في (**الشيطان المزدوج**) لما يتضمنه الفيلم من إساءة[١].

هل نحن إذن أمام هجرة عكسية من هوليود؟ وهل سيبقى فيها فقط أولئك الذين اعتادوا الظهور في أدوار نمطية مسيئة في الوقت الذي ينسحب فيه من يخشى دفع الضريبة؟ هذا ما ننتظر جوابه في السنوات القليلة المقبلة!

## ماذا قدمنا لأنفسنا؟

يقول الكاتب والممثل الأمريكي الأسود المسلم (**ج. د. هول**/ J.D. Hall): «في الوقت الذي كان فيه الكتاب والمخرجون الأمريكيون من أصل إفريقي يحققون نجاحاً متواضعاً في هوليود، كان العرب والمسلمون الأمريكيون ما يزالون واقفين في آخر الصف، فنحن لا نملك أي قوة سياسية في هذا البلد، ولا نملك أي قوة لصنع القرار في وسط الإعلام وصناعة الأفلام، لذا فإننا عاجزون عن التحكم في صورتنا التي يراها الآخرون»[٢]، وهذه الكلمات الصادقة من رجل يعمل وسط هوليود تضعنا أمام التساؤل الحقيقي: ماذا قدمنا نحن لأنفسنا؟ ولماذا ننتظر الإنصاف من الآخر الذي وضع نفسه في موضع العدو؟!

وفي البحث عن إجابة، نبدأ برأي البروفسور (جاك شاهين) الذي يرى أن جانباً من المشكلة يأتي من كون الاستوديوهات الكبرى التي تعرضت لضغوط على مدى السنين لتتوقف عن تقديم صور سلبية للمرأة والسود والأقليات الأخرى قد واجهت انتقادات قليلة لتقديمها صوراً سلبية عن العرب.

---

(١) برنامج (نقطة تحول) على قناة (mbc)، الأربعاء ٧ نيسان/ أبريل ٢٠١٠.

(2) http://www.100megspop2.com/presca/lauriegoodstein.htm

obeikandl.com

وهو ما يؤكده الناقد السينمائي بمجلة تايم الأمريكية (ريتشارد شيكل) في قوله: «تحولت هوليود إلى العرب ليلعبوا دور الشرير في الأفلام بعد انهيار الاتحاد السوفييتي وانتهاء الحرب الباردة بشكل خاص»، ويضيف: «في البداية لم تكن للعرب منظمات مماثلة لعصبة مناهضة التشهير لكي تثور وتحتج عندما تقدم هذه الصور النمطية»(١).

ونقترب أكثر مع تعليق (شاهين) في لقاء آخر يقول فيه: «إنهم لا يستهدفون أي مجموعة أخرى لأن كل مجموعة يمكن أن تحتج وتثور، لماذا لا يوجد إلا أنا أكاديمي واحد في بلد ضخم مثل أمريكا يهتم بهذا الأمر؟ أنا الوحيد الذي يتابع هذه القضية ويكتب عنها ونحن لا ندرسها في الجامعة ولا في مراكز الأبحاث، أنت تعرف أنني لم أستلم يوماً رسالة من أي عربي تقول شكراً أستاذ شاهين لأنك تقوم بهذا العمل، وكتبت هذا الكتاب، [ويقصد كتاب (العرب الأشرار)]. ولهذا فإن كان العرب أنفسهم لا يهتمون وإذا أرادوا فقط أن يجلسوا ويشربوا القهوة ويأكلوا الكنافة فإن جزءاً من المشكلة يقع عندهم، والعرب لا يأخذون هذه المشكلة على محمل الجد»(٢).

إنه صمت عجيب حقاً، وهو أشبه بمؤامرة أخرى يتعاون فيها الجميع على الصمت والتجاهل، تماماً كما يتعاون أقطاب هوليود على الإساءة إلى العرب والمسلمين منذ أكثر من قرن دون رادع من أحد، فقد استعرضنا في هذا الكتاب عشرات الأسماء العربية والمسلمة التي تمكنت من تحقيق بعض النجاحات في هوليود، ولكننا لا نكاد نسمع عن تحرك

(١) موقع الجزيرة نت، بتاريخ ١٦/ ١١/ ٢٠٠١.

http://www.aljazeera.net/News/archive/archive?ArchiveId=20315

(٢) قناة الجزيرة، برنامج الكتاب خير جليس، العرب السيئون.. كيف تشوه هوليود شعباً، ٢٦/ ١٢/ ٢٠٠٥.

يذكر لمصلحة صورة العرب والمسلمين في الإعلام والسينما في الغرب والعالم كله، باستثناء المحاولات اليتيمة التي تقوم بها منظمة (كير)، وبروفسور متقاعد اسمه (جاك شاهين)!

**بوادر أمل..**

مع هذه الصورة السيئة التي يلفها الظلام لواقع العرب والمسلمين في هوليود، فإن بوادر أمل جديد بدأت بالظهور في السنوات الأخيرة لا بد من ذكرها للإنصاف، بدءاً من تأسيس مكتب تابع **لمجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية (كير)** في لوس أنجلوس بالقرب من هوليود، بهدف متابعةِ ما تنتجه من أفلام ذات علاقة بالمسلمين، ودعوة صناع الأفلام لأخذ استشارتها في النصوص والمشاهد قبل عرضها.

وبعد تزايد اهتمام هوليود بالإسلام إثر هجمات أيلول/ سبتمبر، كثفت هذه المنظمة، التي تعد الممثل الرئيسي للمسلمين في الولايات المتحدة، زياراتها للاستوديوهات والشركات الإعلامية في هوليود وغيرها، وحسب تصريح مديرها (**حسام آيلوش**) فإن هذه الزيارات تهدف أولاً إلى تصحيح صورة الإسلام والمسلمين لدى العاملين في المجالين الإعلامي والسينمائي، وتقديم الخدمات الاستشارية لكل من يحتاج إليها، إضافة إلى تشجيع جيل المسلمين الجديد على الدخول في هذا المجالات وفتح الفرص أمامهم للمشاركة بوصفهم مواطنين أمريكيين يتمتعون بجميع حقوق المواطنة[١].

كما بدأت بعض شركات الإنتاج بالفعل بتعيين جهات عربية وإسلامية مستشارين في أعمالها قبل العرض، إذ تم اعتماد (كير) رقيباً استشارياً في بعض الأفلام مثل (**أمير مصر**/ Prince of Egypt) الذي أنتج عام

(١) قناة الجزيرة، برنامج من واشنطن، صورة العرب والمسلمين في السينما الأمريكية.

١٩٩٨[١]، كما عمل (**جاك شاهين**) مستشاراً لفيلم (**الملوك الثلاثة**) الذي أنتج عام ٢٠٠٥ ويتحدث عن حرب الخليج الثانية، وكان قد سبق تعيينه مستشاراً لشركة (وارنر بروس) بعد أن احتجت عدة جماعات عربية أمريكية ومنظمات إسلامية على فيلم (**قرار تنفيذي**) الذي أنتجته الشركة عام١٩٩٦[٢]. وفي عام ٢٠٠٧ أرسلت استوديوهات (يونيفيرسال) نص السيناريو الخاص بفيلم (**المملكة**) إلى السعودي (**أحمد الإبراهيم**) لمراجعته، ثم قرر المخرج تعيينه مستشاراً له في الفيلم بعد أن قدم الإبراهيم الكثير من الملاحظات على النص، وحسب تصريح هذا الأخير فقد كان له دور في تغيير ٩٠٪ من مشاهد الفيلم[٣].

يضاف إلى ما سبق نجاح منظمة (كير) في لفت الأنظار إلى خطورة الأفلام المسيئة إلى المسلمين مع تنظيمها مظاهرة احتجاجية سلمية أمام عدد من دور العرض في أمريكا في أثناء عرضها لفيلم (**الحصار**) عام ١٩٩٨، وكانت هذه إحدى مؤشرات ظهور قوة ضغط جديدة في المجتمع الأمريكي.

---

(١) لم أتمكن في الحقيقة من معرفة طبيعة الدور الاستشاري الذي قدمته (كير) في الفيلم وكيف أثّر في أحداثه، فهذا الفيلم الكرتوني الضخم قائم بالأساس على الأساطير التي تمجد بني إسرائيل في أثناء وجودهم في مصر، وتعيد إلى الأذهان خرافة كونهم بناة الأهرام وصانعي الحضارة المصرية، وقد حقق الفيلم نحو ٢٠٠ مليون دولار وشارك في أدائه الصوتي نجوم كبار مثل (ساندرا بولوك) و(ميشيل بفايفر)، كما قدمت نجمات في الغناء أغاني مصاحبة للفيلم مثل (ويتني هيوستن) و(ماريا كيري).

(٢) موقع الجزيرة نت، بتاريخ ١٦/ ١١/ ٢٠٠١.

http://www.aljazeera.net/News/archive/archive?ArchiveId=20315

(٣) صحيفة الرياض، الخميس ٢٤ شعبان ١٤٢٨هـ، ٦ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٧م، العدد ١٤٣١٨.

ومن أهم الإنجازات التي حققتها ضغوط (كير) في هوليود نجاحها بعد عامين من الاتصالات مع شركة (بارامونت) في تعديل أحداث الفيلم الأمريكي (**مجموع كل المخاوف**/ Sum of All Fears) الذي بدأ تصوير مشاهده في مطلع عام **٢٠٠١**، أي قبل أحداث أيلول/ سبتمبر بعدة شهور، حيث يستعيد الفيلم قصة الهجوم الإرهابي على نهائي بطولة كرة القدم الأمريكية (السوبر بول) كما حدث من قبل في فيلم (**الأحد الأسود**)، ولكن القصة هنا يتم تضخيمها مع محاولة الإرهابيين هذه المرة تدمير سلاح نووي (إسرائيلي) عثروا عليه سليماً في مرتفعات الجولان! وقد نجحت جهود (كير) في إقناع الشركة المنتجة ومخرج الفيلم (إلدن روبنسون) بتعديل أحداث الفيلم نظراً لما يتضمنه من إساءة إلى صورة المسلمين داخل أمريكا وخارجها، فقامت الشركة بالفعل بتحويل هوية العصابة الإرهابية إلى **النازية الجديدة**، وأرسل المخرج (روبنسون) إلى (كير) خطاباً يقول فيه: «أتمنى أن تتأكدوا أنه ليست لدي أية نية لترويج صور سلبية عن المسلمين والعرب، وأني أتمنى لكم الأفضل في سعيكم المتواصل لمحاربة التمييز العنصري»[١].

خبر متفائل آخر نقلته وسائل الإعلام نهاية عام **٢٠٠٨** مع تأسيس (**مركز معلومات المسلمين على الشاشة**) في كاليفورنيا، والذي يهدف حسب تصريح أحد مؤسسيه؛ المنتج (مايكل وولف)، إلى: «مساعدة المنتجين والمخرجين للوصول إلى الحقائق عن المسلمين بدلاً من اللجوء إلى الصور النمطية التي رسمت شكل المسلمين في السينما الأمريكية»[٢]، ويضم المركز عدداً من المخرجين والمنتجين الكبار في هوليود من أمثال (هوارد جوردون) منتج مسلسل (٢٤) و(**جيم برك**)، ومن المفاجئ أن

(١) الشرق الأوسط، العدد ٨٠٩٧، ٢٨ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠١.

(2) http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/programmes/newsid_6071000/6071006.stm

فكرة تأسيس المركز لم تأت من جماعات الضغط الإسلامية، بل تعود إلى مجموعة من العاملين في مجال الإنتاج السينمائي في هوليود، وهي مبادرة طيبة بالفعل، ولكن التحقق من صحة نياتها وجدواها الفعلية يحتاج إلى بعض الوقت.

## هل ستتغير صورة العرب والمسلمين في هوليود؟

تتفاوت الآراء عند الإجابة عن هذا السؤال بين قطبي التفاؤل والتشاؤم، ولعل الرأي الأكثر شيوعاً يميل إلى أن صورة العرب والمسلمين في العقلية الغربية عموماً هي اليوم أسوأ من أي وقت مضى، فمع كل ما قيل عن تفاؤل المسلمين في تغير هذه الصورة بعد تزايد الاهتمام للتعرف على الإسلام وأهله في السنوات الأخيرة، إلا أن جهود هوليود والإمبراطوريات الإعلامية الغربية في تكريس المزيد من الكراهية هي التي نجحت وآتت ثمارها، وما زالت مصادر المعلومات الأولى حول الإسلام والعرب هي تلك الواقعة تحت تصرف الصهيونية والمتعاطفين معها.

ويستدل المؤيدون لهذا الرأي بتزايد أعداء المسلمين في السنوات الأخيرة، إذ تحولت بعض الأفكار العنصرية لدى مجموعات لم تكن على علاقة بالمسلمين والعرب لتصب جام غضبها على هؤلاء الأعداء الجدد، فالدعاية المسيئة التي تتكرر كل يوم على مرأى العالم كله ومسمعه قد دفعت بعض **النازيين الجدد** في أوربا وأمريكا إلى تأخير حربهم على اليهود والسود والغجر وإحلال العرب والمسلمين مكانهم. وفي الوقت الذي يحتاج فيه المسلمون والعرب إلى المزيد من التأييد الدولي لقضاياهم؛ نجد أن الدعاية المسيئة إلى المسلمين تنتقل من الغرب إلى شعوب أخرى في أمريكا اللاتينية وآسيا وإفريقيا، حتى تكاد كلمة الإرهاب تصبح مرادفاً للإسلام نفسه على صعيد العالم كله، وهو الذي نؤمن بأنه دين جميع الأنبياء!

مع هذه المؤشرات المؤلمة، يرى فريق آخر أن ثمة مؤشرات أخرى تدل على تغيرٍ ما في عنصرية هوليود، أو لنقل: في طريقة تعبيرها عن الكراهية على الأقل، إذ لم يعد مقبولاً اليوم إنتاج فيلم مثل (**أكاذيب حقيقية**) والذي كان من أقوى الأفلام سنة **١٩٩٤**، ولن تجرؤ سياسة التحقير على كيل الشتائم في حق الشعوب على إطلاقه ودون فتح نافذة أخرى لتفهم الطرف الآخر حتى إن لم يزد ذلك على ابتكار شريحة (المسلمين الأخيار) على الأقل، ولعل الفضل في ذلك يعود إلى انفتاح الشعوب بعضها على بعض في ظل العولمة وثورة الاتصالات، وإلى التوسع في مشاركة الممثلين والفنيين من العرب والمسلمين في معظم الأفلام التي تتعرض لقضاياهم فضلاً عن تصويرها في بلادهم، إذ لا بد أن يؤدي هذا الاحتكاك إلى تقريب وجهات النظر[١]، كما يرتقي الانفتاح بالذوق العام للمشاهد الغربي الذي لن يستسيغ تسطيح (الحرب على الإرهاب) بالطريقة الفجة التي درجت عليها العادة ما لم تُقدم على الأقل في إطار كوميدي ساخر كما في فيلمي (**ترنيمة أميركية**) و(**لا تعبث مع زوهان**) المنتجَين عام **٢٠٠٨**[٢].

---

(١) هذا التوسع في الاحتكاك بين الطرفين لا بد أن يؤدي إلى نتائج أخرى على الطرف العربي والمسلم، فإذا كان البعض يستبشر بالاستفادة من تقنيات هوليود وكفاءاتها فليست هي وحدها التي يتم تصديرها إلينا، إذ لم يسبق مثلاً ظهور ممثلين عرب عراة، أو نطقهم بشتائم جنسية، أو تلقين ممثل قاصر كل أشكال الأفلام الإباحية ليتقن أداء دوره بائعاً لها على قارعة الطريق في بغداد!

(٢) لا بد من التذكير بأن هذا التفاؤل لا ينفي استمرار أسلوب التحقير التقليدي، ولكن ربما بنسبة أقل من جهة الكمّ، ففي فيلم (**هيدالغو**) (**٢٠٠٤**) مثلاً تعاد الأساطير نفسها التي تبنتها هوليود حول بلاد ألف ليلة وليلة منذ قرن كامل، وكأن عقلية الكاوبوي المتطرفة عصية على التطور والانفتاح حتى في أسلوب التحقير ذاته!

ويؤكد هذا التوجه إنتاجُ العديد من الأفلام الناجحة تجارياً وفنياً بعد هجمات أيلول/ سبتمبر، مع أنها تنتقد بصراحة بعض ملامح التقصير لدى السياسيين الأمريكيين كما في (**سيريانا**)، (**المنطقة الخضراء**)، (**التسليم**) و(**جسد من الأكاذيب**)، كما انتقدت هوليود في فيلم (**واجب وطني**) (**٢٠٠٦**) الدعاية المفرطة (البروباغندا) التي تنتهجها بعض وسائل الإعلام الأمريكية لتعبئة الرأي العام ضد المسلمين، وإلى درجة إصابة أحد الأمريكيين العاطلين عن العمل بارتياب مرَضي تجاه جاره الطالب المسلم؛ الممثل المصري **خالد أبو النجا**، ثم اختطافه وتعذيبه للاعتراف بجرم لم يرتكبه، لتظهر براءته فيما بعد. علماً بأن جميع هذه الأفلام قد أنتجت خلال سنوات (الحرب على الإرهاب)، مع أن العادة جرت في هوليود على عدم معالجة أي حرب قبل انتهائها[١].

وقد تخدم هذه المؤشرات فئة أخرى من المثقفين في الشرق والغرب ما زالت تحلم بغد أفضل، فهم ينطلقون غالباً من اتساع أفق نظرتهم إلى الإنسان ذاته بوصفه ظاهرة مما يدفعهم للإيمان المطلق بالهوية الكونية، والتي يجزم الكثيرون منهم بأنها ستحل يوماً محل النزعات العرقية والمذهبية التي تفصل بين الشعوب وتؤجج نار الحروب. يقول الناقد

(١) من المهم التأكيد على حقيقة أن هوليود، وبوصفها مركزاً مهماً لتصدير الثقافة الأمريكية، فهي خاضعة بطبيعة الحال لتقلبات الوسط الثقافي في مجتمعها مما يعني حتماً عدم تجانسها، وخصوصاً في مجتمع ديمقراطي يتيح -ولو جزئياً- التعددية في الرأي، فقد أنتجت هوليود عدداً لا بأس به من الأفلام التي تنتقد وبشدة الكثير من جوانب الثقافة الغربية- الأمريكية، أو حتى تتنبأ بنهاية وانهيار الحضارة الغربية، مثل (الاستدعاء العام)، (عالم الماء)، (الهروب من نيويورك) و(محارب على الطريق)، بل تُعد بعض الأفلام الوثائقية الناقدة من أكثر الوثائقيات شهرة وشعبية لدى الجمهور الأمريكي؛ مثل أفلام مايكل مور وفيلم (حقيقة مرعبة) لمرشح الرئاسة السابق (ألبرت غور).

الألماني من أصل إيراني (أمين فرزانيفار): «بالرغم من كل النفور من تحيز سينما هوليود، فهناك عنصر مطمئن وهو أن السينما الهوليودية ليست جادة ولا تحمل فقط على العرب. فأفلام الكاوبوي مثلت كثيراً وأساءت للهنود الحمر وجعلت الأفارقة تجار مخدرات، ومثلما جعلت العرب يظهرون كإرهابيين، فقد جعلت النساء المكسيكيات خادمات أو عاهرات في الأفلام، كما حكمت على الإيطاليين بأنهم جميعاً ينتمون لعصابات المافيا»[١]. وقد يكون ما قاله صحيحاً حول إشراك هوليود أعراقاً أخرى مع العرب في حقدها البغيض، ولكن الفارق هنا لا يقتصر على طول مدة هذا الحقد تجاه العرب والمسلمين دون غيرهم، والتي تتطابق مع عمر السينما كله، كما لا يقتصر أيضاً على تخصيص المسلمين بكم هائل من الصور النمطية التي تستوعب جميع الصفات التي تنفر منها النفس البشرية، ولا على تربع المسلمين على رأس قائمة منتجات هوليود المسيئة كماً وكيفاً، فالأمر يتصل مباشرة بالصراع القائم بين الغرب والشرق الإسلامي، ببعديه السياسي والديني، وهو صراع ثقافي لا يصح أن تقاس عليه تلك النظرة العنصرية تجاه الهنود الحمر والمكسيكيين والإيطاليين، ولا حتى تجاه الروس واليابانيين والسود الأفارقة.

وفي المنحى ذاته، ينتقد البروفسور (جاك شاهين) التعاون القائم بين المؤسستين العسكرية والأمنية الأمريكيتين وصنّاع الأفلام في هوليود، ولا نرى في نقده لهذا التعاون ما هو أبعد من الاستياء من العنصرية التي تتناقض في رأيه مع القيم الأمريكية، لذا يبدو متفائلاً جداً بالمستقبل، ومؤمناً بأن الجيل القادم من المنتجين والمخرجين الشباب سيدرك يوماً ما أن تحقير الشعوب أمر خاطئ وأنهم سيقلعون عنه حتماً، فهي مسألة وقت لا أكثر!

(١) سمير عواد: العرب أونلاين، ٢٦ آب/ أغسطس ٢٠٠٨.

إلا أن القضية تتجاوز العنصرية، كما يرد الدكتور إبراهيم علوش، وتعود إلى تعصب أمريكي شوفيني يهدف إلى تعبئة الرأي العام الأمريكي والعالمي، وحتى العربي، في **الحرب على الإرهاب**[1]، بل إن تهمة العنصرية هذه لم تعد تقلق هوليود لقدرتها على نفيها، وذلك إما بإعلان صغير يظهر فيه البطل على الشاشة ليذكّر المشاهدين بأن الإرهابيين الذين يقاتلهم لا يمثلون جميع المسلمين كما فعلت قناة وشركة (فوكس)، أو بإظهار وجه آخر للعربي المسلم، وهو يتعاون مع البطل الأمريكي أو اليهودي لمحاربة **الإرهاب**.

ومن اللافت أن البروفسور شاهين لا يجد ما يدافع به عن العرب سوى التذكير بأنهم ليسوا جميعاً مسلمين، وأن بينهم نسبة كبيرة من المسيحيين، ومؤكداً أن المجتمع العربي ليس متديناً تماماً كما يعتقد الغرب، بل يحتوي على الكثير من المظاهر العلمانية!.. وأعتقد أنه بهذا لا يختلف كثيراً عن أصحاب تلك النظرة الدونية للإسلام والمسلمين، فالعلاج -في رأي شاهين- ليس بإظهار حقيقة الإسلام وأهله، بل بنفي الإسلام عن كثير من العرب، ثم بنفي التدين عن كثير من المسلمين!

وعليه، فإن إيمان البعض بحتمية انتصار الهوية الكونية يوماً ما قد يسقطهم في فخ المثالية السطحية، وبالرغم من اتساع أفق فهمهم لظاهرة الإنسان، فقد لا يتعدى تفسيرهم للواقع ضيقَ أفقِ النظرة العنصرية التي تحكم هوليود واستعلاءها على بعض الشعوب، لافتقار كليهما إلى القدرة على النفاذ في عمق الصراع بتراكمه التاريخي وتعقيداته الثقافية والدينية.

هل يكمن الحل إذن في الحوار وممارسة الضغوط؟ وهل تجدي هذه

(١) د. إبراهيم علوش: عندما يقلد الحدث السياسي الحدث السينمائي، مجلة نور حواء الإلكترونية.

المحاولات لإحداث انقلاب شامل في نظرة هوليود إلى العرب والمسلمين، والتي لا تزيد على كونها انعكاساً للصراع بين الشرق والغرب؟

أعتقد أن الضغوط ستُجدي على نحو جزئي، وأنها قد تمنع تصوير أحد الأفلام أو تُغيّر مجرى أحداثه كما حدث في فيلم (**مجموع كل المخاوف**) سنة ٢٠٠١، إلا أن المسلمين جربوا ضغوطاً أكبر في مواقف أخرى دون أن ينالوا النتيجة المرغوبة، وأشهر مثال على ذلك حادثة الرسوم المسيئة إلى الرسول ﷺ في الصحف الدانمركية والنرويجية، والتي أعقبتها مظاهرات واحتجاجات رسمية دولية ومقاطعات اقتصادية، بل لعل المسلمين لم يتوحدوا في قضية مشابهة منذ انتفاضة الأقصى كما توحدوا ذلك اليوم، ومع ذلك فقد أعيد نشر تلك الرسوم ردّاً انتقامياً، وما زالت ردود فعل اليمين الأوربي تتوالى كل عام في كتب وأفلام وبرامج تلفزيونية لتثبت للمسلمين أنهم سيظلون مكروهين إلى الأبد!

في المقابل، أثبتت المقاطعة الاقتصادية آنذاك أنها ذات جدوى في حال تفعيلها بقوة كافية، بل لعلها الطريقة الشعبية الوحيدة التي يمكن أن تترك أثراً في ظل التشتت العربي والإسلامي والذي لا نجد له مثيلاً في أي أمة أخرى، وسنستبعد خيار قطع إمدادات النفط عن الطرح لاستحالة تطبيقه حالياً!

أما التأثير الإعلامي الحقيقي فيتطلب جهوداً أكبر، في رأينا، من مجرد الضغط، بدءاً بتأسيس شركات الإنتاج والتوزيع السينمائي في قلب هوليود وإدارتها بأموال وخبرات عربية، وهو أمر ليس بالمستحيل، كما أثبتت تجارب كل من مصطفى العقاد وسيد بدرية وحليم جبوري[١]، والتي

(١) سبق التعرض لهذه التجارب في مواقع متفرقة من الكتاب.

تمكنت من كسر الاحتكار الصهيوني مع كونها تجارب فردية ومتواضعة. كما نؤكد على الدعوة التي ظل المرحوم العقاد يرددها لثلاثة عقود حول عدم الاكتفاء بتأسيس شركات عربية وإسلامية للإنتاج والتوزيع والإعلام، بل المساهمة في الشركات الإعلامية والإنتاجية القائمة هناك سواء بشراء الأسهم أم البحث عن فرص للعمل أم بتمويل بعض منتجاتها بهدف تغيير مسارها وتعديل قراراتها، وهذا ما قام به العقاد في بداية مشواره عندما انضم إلى قنوات إخبارية أمريكية قبل أن يتوجه إلى العمل السينمائي.

هذا التوجه يلقى اليوم ترحيباً أكبر، وقد أكده التونسي طارق بن عمار -نظرياً على الأقل- عندما شجع الوليد بن طلال وغيره من المستثمرين العرب على شراء المحطات الأمريكية الكبرى أو المشاركة فيها، ونضيف التذكيرَ بأن مجرد المساهمة في شراء أسهم تلك القنوات أو حتى الانضمام إلى مجلس إدارتها لا يكفي ما لم يقترن بالأفعال التي نجد لها آثاراً على أرض الواقع، وإلا تحولت هذه المساهمات إلى عمل تجاري بحت يضخ الأرباح إلى المستثمرين ويقوي نفوذ القائمين عليها ممن يمعنون في الإساءة إلى الإسلام والعرب! علماً بأن هناك العديد من الأسماء العربية المشهورة في مؤسسات إعلامية أمريكية كبرى، ونذكر منها **أنطوني شديد** في صحيفة (واشنطن بوست) و**مايكل صلاح** في صحيفة (توليدو بليد) اللذين حازا على جائزة بوليتزر الشهيرة، كما نذكر **لوسيل سلحبي** التي تعد أول امرأة في الولايات المتحدة تترأس شبكة تلفزيونية بتوليها رئاسة مجلس إدارة شبكة (فوكس) التلفزيونية، ولا ننسى **أوكتافيا نصر**، كبيرة المحررين ومذيعة الربط في تلفزيون (CNN)، وكذلك أحد أشهر الشخصيات في عالم الإذاعة في الولايات المتحدة اللبناني **كمال أمين** (كيسي)، الذي قدم منذ بداية السبعينيات برنامجي (أربعون كيسي الكبار) و(عدّ كيسي التنازلي)، أما النجم الإعلامي (**شيراز**

**حسن)** فقد نجح في اختراق هوليود بكل جدارة من خلال برنامجه العالمي (تنسلتاون تي في) وإمبراطوريته الإعلامية على صغر سنه[١].

ومع ترسخ الصورة النمطية للإسلام والعرب في العقلية الأمريكية والغربية وحتى العالمية، بل لدى بعض العرب أيضاً، إلا أن احتمال التغيير سيظل قائماً مهما بدا صعب المنال، فالعقل البشري ينزع دائماً إلى الشك والتساؤل، وهذا ما يجعل الأفكار الجديدة قابلة دائماً للانتشار في كل المجتمعات بعد أن تأخذ وقتها الكافي من الرفض ثم الاعتياد، وصولاً إلى الفضول والتساؤل اللذين يدفعان إلى القبول والتصديق، ويكفي التذكير بانتشار الإسلام في معظم أنحاء العالم الإسلامي بالمعاملة الطيبة والموعظة الحسنة دون قتال أو حصار أو إكراه.

استعرضنا في موضع سابق التحول الذي طرأ على موقف النجم الراحل (مارلون براندو)، إذ كان متعاطفاً بقوة في شبابه مع القضية الصهيونية لما رآه من اضطهاد لليهود في ألمانيا النازية، مما دفعه إلى أداء دوره بكل حماس في مسرحية كتبها الصهيوني (بن هكت) ومدافعاً عن الواجب الإنساني المتمثل في نقل اليهود من أوربا إلى فلسطين، وقد نجحت المسرحية بالفعل في جمع تبرّعات مباشرة لنصرة اليهود في عملية الاستيطان.

وفي أيامه الأخيرة، اعترف (براندو) للمخرج التونسي رضا الباهي بأنه

(١) مع كل هذا الحضور الإعلامي فما زال العرب والمسلمون بعيدين عن أداء أي دور فاعل في شركات الإنتاج السينمائي والتلفزيوني الكبرى في هوليود، ومن المؤسف للغاية أننا ما زلنا أسرى عقدة العجز التي ورثناها منذ (النكسة)، حيث تسود مشاعر الإحباط والإخفاق واستحالة التأثير، مع كل ما بذله العقاد طوال ثلاثين سنة من جهود مدعومة بالتجربة لإقناع العرب بأن اقتحام هوليود ليس بالمعجزة، وأنه لا يتطلب سوى بعض الإرادة والتنظيم والاستثمار بقليل من ثرواتنا المهدرة.

متأسّف جدّاً على دعمه السابق للكيان الصهيوني، فعندما شاهد بعينه واقع المخيّمات التي كان يعيش فيها الفلسطينيون المشرّدون في لبنان أدرك الحقيقة التي ما تزال غائبة عن معظم الأمريكيين، وهي أن اليهود قد فعلوا بالفلسطينيين أكثر بكثير مما فعله النازيون بهم. وإذا كان هذا التحول قد حدث بالفعل مع أحد نجوم هوليود الكبار، فمن غير المستبعد إذن أن يحدث مع أي مواطن أمريكي قادر على التفكير الحر إن أتيحت له الفرصة للتفكير والاطلاع على الحقيقة.

وحتى يتحقق هذا الهدف؛ لا بد من تكاتف القوى والجهود للتحرك على جميع الأصعدة في آن واحد، وإلا فستبقى هذه التحركات مجرد أعمال فردية لا تترك أثراً، وهي أشبه بنفخة في وجه العاصفة، فقد رأينا كيف انتقل العقاد إلى رحمة الله بعد عشرين سنة من البحث عن ممول لفيلمه، وكيف بقي فيلماه اليتيمان في سجل الذاكرة وحدهما لثلاثين عاماً، وإذا نجح العرب والمسلمون يوماً ما في إنجاز فيلم ضخم آخر لنصرة قضيتهم فسيعرض لفترة ما في دور العرض، وقد يثير بعض الأسئلة ويفتح الباب للنقاش، ثم سيصبح جزءاً من التاريخ مهما كان ضخماً ومؤثراً، وستبقى الصور النمطية التي كرستها هوليود على مدى أكثر من قرن هي القاعدة العامة والمؤثرة، لذا ينبغي أن يكون التحرك جماعياً ومنظماً ومستمراً، وأن توظف جميع الإمكانيات وفي كل وسائل الإعلام، وعندها ستجد محاولات المسلمين في دعوة الآخرين إلى الحوار وطرح الأسئلة آذاناً صاغية.

ويبقى سؤال أخير: هل ستُحل المشكلة برمتها في حال وصولنا إلى هذه المرحلة؟..

هنا يجب التمييز بين الإساءة بدافع العنصرية تجاه عرق أو طائفة ما، وبين التحقير المنهجي بوصفه أحد أساليب الحرب المعلنة أو الباردة تجاه

أمة أخرى في إطار صراع ثقافي شامل. فالعنصرية التي حكمت نظرة الأوربيين إلى اليهود حتى نهاية الحرب العالمية الثانية وتأسيس (إسرائيل)، أو تلك التي ظلت قائمة في الولايات المتحدة حتى الستينيات من القرن الماضي تجاه السود، أو التي ما زالت قائمة حتى الآن تجاه اللاتينيين.. فإنها جميعاً كانت محكومة بثقافة عصرها، وتم التخلص من بعضها أو التخفيف منها مع مرور الوقت. أما دعاية التحقير والشيطنة التي تطبق في أثناء الحرب فهي محكومة باستمرار هذه الحرب أو انتهائها، والتحقير الذي طبقته وسائل الإعلام الأمريكية تجاه اليابانيين مثلاً لم يعد له وجود بعد استسلام إمبراطورهم في الحرب العالمية الثانية، وكذلك الأمر في حالة الحرب الباردة مع السوفييت بعد سقوط الشيوعية، أو مع الهنود الحمر بعد إبادة نحو خمسين مليوناً منهم حتى لم يبق إلا القليل لدمجهم في مجتمع الرجل الأبيض، في حين سيبقى التحقير المطبق حالياً تجاه المسلمين ما دامت الحرب عليهم قائمة سواء كانت باردة أو مسلحة، وهي حرب يرى الكثيرون أنها ستبقى حتى تلغي إحداهما الأخرى أو تتمكن من القضاء على روحها ومصدر قوتها كما حدث في كل من اليابان والاتحاد السوفييتي[1]، ولعل مناقشة هذه النقطة تحتاج إلى بحث آخر.

(١) يصنف العالم اليوم وفقاً لنظرية (صراع الحضارات) للمفكر الأمريكي (صموئيل هنتنجتون) إلى سبع حضارات، وهو يرى أن الحضارة الغربية -الأقوى- ستبقى حتماً في صراع مع واحدة منها وهي الإسلام، وأن الصراع قائم حتى تلغي إحداهما الأخرى، أما (فرانسيس فوكوياما) فيؤكد في نظريته (نهاية التاريخ) أن الحضارة التي ستتغلب في النهاية هي الحضارة الغربية، والتي ستسود العالم حتماً بقيم الديمقراطية والحداثة. ومن الملاحظ أن السياسة الغربية الخارجية -والأمريكية منها على وجه الخصوص- تؤمن فعلاً بهذه النظريات بالرغم من الغطاء الدبلوماسي، ونحن نرى أن الصراع لا يستلزم من المنظور الإسلامي نفي الآخر أو القضاء عليه، ولا يتعدى الأمر نشر الدعوة بين الأمم دون ضرورة بسط النفوذ وسلب الثروات، كما هو الحال في المفهوم الغربي الإمبريالي.

## كي لا ندفع المزيد من الضرائب!

يروي المخرج الراحل **مصطفى العقاد** فيما يلي حواراً جرى بينه وبين رجل مسلم: «قال لي: إن ما تفعله حرام في حرام وسيجازيك الله على أفعالك المشينة، كيف تقدر أن تخلق في الصور روحاً لتحركها؟!

سألته: هل الصور التي تصدر في المجلات حرام؟

أجاب قائلاً: لا، هذا تجميد للظل مسموح به.

حاولت عبثاً أن أوضح له أنني فقط أحرك الصورة في السينما ولا أخلق فيها روحاً، وبشيء من العصبية علق قائلاً: هذا كفر!!

ولا يدري أنه دون أن يعلم أعطاني صفة الخلق وهذا من شأن رب العالمين وحده عز وجل.. ألا يدرك هذا الشخص أن الذي اخترع نظرية التصوير كان مسلماً وعربياً وهو **الحسن بن الهيثم؟!**»[1].

مع الأسف الشديد، استقبل الكثير من المسلمين بمثل هذا الفكر السينما والتلفزيون، ثم وقفوا حائلاً أمام كل من حاول الرد على افتراءات الصهيونية بطريقة حضارية كان من الممكن أن تجنبنا الكثير مما وقعنا فيه لاحقاً، وظنوا أن ثمة طرائق أخرى (شرعية) ستمكنهم من إيصال صوتهم إلى العالم، فمرت عقود طويلة اتسعت فيها الهوة بين الشرق والغرب، وترسخت خلالها الصور النمطية للمسلمين في أذهان العالم، حتى بات إصلاحها يتطلب جهداً أكبر، ووجدوا أنفسهم في النهاية عاجزين حتى عن الصراخ، فاختار بعضهم أخيراً طريق الرد المسلح!

طوال تلك العقود؛ ظل المسلمون الذين يشكلون سدس سكان البشرية

(١) لقاء مع مجلة عربيات الإلكترونية، ٢١ آب/أغسطس/ ٢٠٠٣.

يعوّلون على رجل واحد فقط في هوليود اسمه مصطفى العقاد، وظل هذا الرجل صامداً وحده في هوليود ليمثل أمة بأسرها، مبتدئاً مشواره بالصراع مع المسلمين الذين بذلوا كل جهودهم لإخفاق مشروعه، ثم تابع باحثاً عن دعم لمشروعه عن صلاح الدين عشرين سنة، مختتماً رحلته تلك بالموت قتيلاً تحت الأنقاض، وما زال مليار وربع مليار مسلم يبحثون عن رجل آخر يتجرأ على المتابعة!

المنتج وإمبراطور الصحافة والإعلام (روبرت مردوخ) يقدم دورياً ملايين الدولارات دعماً مباشراً إلى إسرائيل، ويسخّر إمبراطوريته العالمية لمصلحة الصهيونية، أما المنتجون العرب فيتباهى بعضهم بأنهم لا يفكرون إلا بالربح، ويجدون في ذلك تمسكاً نبيلاً بمبادئ الرأسمالية النقية، في حين يكتفي آخرون بظهور أسمائهم العربية في الإعلام الغربي، مقدمين بذلك صورة ناصعة لرجل الأعمال العربي الناجح، وربما الناجح فقط في جمع المال بأي وسيلة!

المخرج والمنتج الصهيوني، وصاحب الاسم الأشهر في هوليود، (ستيفن سبيلبرغ) يتباهى بأنه صاحب قضية، ويقول في لقاء صحفي: «لم يعد النجاح التجاري همّاً لدي، في السابق كنت أريد لفيلمي أن يتبوأ أعلى الإيرادات، لم أكن راضياً بأي نسبة من النجاح باستثناء النسبة الأعلى، الآن كل ما أريده هو أن يغطي الفيلم كلفته، فلسفتي هي أنه إذا نجح الفيلم فإن ذلك يعود إلى قدرتي على التحكم بمصيري، أما إذا أخفق فهو من المسائل القدرية»، ويضيف أنه قد نضج الآن، وأنه خرج نهائياً من إطار الأفلام الترفيهية مهما كانت مربحة تجارياً[1]. أما المخرجون العرب فيتباهى بعضهم بأنه لا يحمل قضية تذكر سوى قضاياه الشخصية، فهناك من يبحث عن المال، وهناك من يحلم بالنجومية

(١) لقاء مع محمد رضا، الشرق الأوسط، العدد ٨٦٥٥، ٩ آب/أغسطس/ ٢٠٠٢.

والسجادة الحمراء، أما البعض الآخر فيريد أولاً أن يفهم ذاته ويتعرف هويته، وإلى أن يجدها سنظل نأمل بأن يتبنى قضية تلائمها.

المخرج والنجم الأوسكاري (مل غبسون) صنع فيلم (**آلام المسيح**) سنة **٢٠٠٤** للتعبير عن مشاعره الدينية، وعندما حاربه اليهود قبل صناعة الفيلم وبعدها استمات الرجل لاسترضائهم وإقناعهم بأنه لا يريد إدانتهم بشيء، وكان بالفعل هو أول من يعرض صورة المسيح -عليه الصلاة والسلام- في هيئة شرقية، بعيون سوداء وشعر أسود، بعد أن درج الغرب على رسمه وتصويره بملامح أوربية. لكن الرجل ارتكب خطأً فادحاً عندما قُبض عليه مخموراً في وقت متأخر من الليل، وشتم -على مسامع الشرطة- اليهود الذين رأى فيهم أصل البلاء والشر، فكانت ضربة قاضية لمستقبله في هوليود، ومع اعتذاره العلني وتبريره بأنها مجرد كلمات خرجت في لحظة غضب وسُكر، إلا أن اعتذاره لم يُقبل، وما زال النجم الأوسكاري مغضوباً عليه لجرأته على المساس بقداسة اليهود.

في المقابل، ومع الرفض الشعبي لمشاركة ممثلين عرب في أعمال مسيئة، لم يكترث عمر الشريف بالرفض الذي قوبل به عندما قبّل شفتي الممثلة اليهودية (باربرا سترايسند) في فيلم (فتاة مرحة) بعد سنة واحدة من نكسة حزيران، ودون أن يمنعه اعتراف (سترايسند) بدعم دولة الكيان الصهيوني من الوقوع في حبها، كما لم تمنع مواقفه هذه الصحافةَ والمهرجانات العربية من تكريمه بعد عودته إلى مصر عندما أفل نجمه في هوليود.

في تايلاند خرجت مظاهرات تندد بتصوير الفيلم الأمريكي (**الشاطئ**) على أراضيها، لما يقدمه من صورة مشينة لبلادهم على أنها مرتع للمتعة والإباحية والعنف، وعندما قررت هوليود تصوير فيلم عن إعدام رجل أمريكي في بكين لم تجرؤ على التقدم بطلب التصوير على أرض الصين،

وقامت بشحن سفينة مليئة بالمنتجات والدراجات والملابس والديكور من الصين لإنشاء حي صيني متكامل وسط هوليود. ولكن عندما يريد أي منتج في هوليود صناعة فيلم يسيء إلى عدة أجيال قادمة من العرب والمسلمين، فإنه يتقدم على الفور بطلب التصوير في الدولة العربية التي تدور فيها الأحداث، وفي حال مواجهة طلبه بالرفض لما يتضمنه من إساءة بالغة فإنه يتحول ببساطة إلى المغرب. وفي الماضي، أوقفت السلطات المغربية تصوير فيلم الرسالة -الذي يحكي قصة الإسلام للغرب- على أراضيها إثر ضغوط بعض المتشددين، ولكنها اليوم لا تجد من يعترض على تصوير أي فيلم يسيء إلى الإسلام نفسه!

القنوات التلفزيونية الأمريكية والأوربية تتسابق إلى عرض الأفلام المسيئة إلى العرب والإسلام، وحسب تصريح (جاك شاهين) فإن فيلم **(أكاذيب حقيقية)** كان يُعرض كل أسبوع على المشاهدين في أمريكا لفترة طويلة، وما تزال الأفلام المسيئة حتى القديمة منها تُعرض باستمرار على المشاهد الغربي. وعندما صنع الممثل والمخرج الفلسطيني **محمد بكري** فيلماً وثائقياً عن مذبحة جنين في أثناء الانتفاضة الثانية، وأسماه (**جنين- جنين**) لم يجد إلا قناة المستقبل اللبنانية لتوافق على عرضه، وبعد أن نجح قضائياً في رفع الحظر عن الفيلم في فلسطين لما يتضمنه من حقائق مرعبة، لم تقبل أي قناة عربية أخرى عرضه على شاشتها للمشاهدين العرب أنفسهم وليس للغرب، في الوقت الذي تستورد فيه هذه القنوات برامج ومسلسلات وأفلاماً أمريكية تحقر المسلمين والعرب، وتعرضها على أعين المعنيين بالتحقير على مدار الساعة، ثم لا يتجاوز رد فعلها إزاء الضغوط التي يمارسها بعض الغيورين حذفَ مشاهد القبلات الحارة والكلمات السوقية!

في الماضي، كان العرب يستشيطون غضباً عندما يسمعون بنبأ فيلم

أمريكي يسيء إليهم، وكانوا ينددون ويقاطعون كل من يعمل في صناعة هذه الأفلام، أما اليوم فيتبادل الشباب العربي صور نجمات هوليود ويعلقونها على جدرانهم، ويدبجون على الإنترنت مقالات الإعجاب والثناء على النجوم والأفلام التي تشوه تاريخهم وتندد بحاضرهم ومستقبلهم.

العرب اليوم يتباهون بالانفتاح على الغرب، ويتسابقون إلى إثبات انسلاخهم من عقدة (نظرية المؤامرة)، ويخجلون من مجرد إطلاق لفظ **المقاومة**.

العرب اليوم يدفعون ضريبة بحث أجدادهم عن مبرر لتخلفهم في الإسلام، وسيظل أبناؤهم في المستقبل يدفعون المزيد من الضرائب إذا استمر الأمر على هذا الحال، فسنة الله في خلقه لا تعرف المحاباة، ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

العرب اليوم أضعف من محاكمة العملاء والخونة الذين يتواطؤون عملياً مع قتلتهم، فكيف إذن بمساءلة بعض من يسيء إليهم من أبناء جلدتهم في هوليود؟! الأمل معقود على هؤلاء الهوليوديين العرب أنفسهم، فضمائرهم هي وحدها الحكم، وإن كانوا محقين في عدم اكتراث شعوبهم لأخطائهم فليذكروا أيضاً أنهم لم يكسبوا ود هوليود بعد كل تلك التنازلات، وأن الأدوار المسيئة لن تجرح مشاعر الإرهابيين أو البدو المتخلفين الذين لا تعنيهم هوليود بل ستمثل من يؤديها من الممثلين العرب والمسلمين في عيون زملائهم ومشاهديهم في الغرب، وأن حفنة الدولارات التي يجنيها أحدهم لقاء دور يسيء فيه إلى نفسه وقومه ودينه ليست إلا ثمناً لما تبقى من كرامته الشخصية قبل أي شيء آخر، ثم أداة لاضطهاد المزيد من الأبرياء وقتلهم!

التبرير قد يُسكت إلحاح ضمائرهم لبعض الوقت، وعجزُ العرب والمسلمين عن مساءلتهم قد يمنحهم وقتاً أطول للتفكير، فهل ستدفعهم محاولتنا المتواضعة للتساؤل مجدداً عن موقفهم أمام الله والتاريخ؟

أرجو ألا يخيب أملنا الأخير!

obeikandl.com